

القديس يوحنا السلمي والأحد الرابع من الصوم الكبير

الأرشمندريت جورج كابسانيس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن القديس يوحنا السلمي، الذي تكرمه كنيستنا اليوم بشكل خاص، هو هبة الله الثمينة لكنيستنا، لأنه ترك لنا إراثاً قيماً، السلم، الذي يعلمنا من خلاله أمرين عظيمين. أولاً: أن التقدم في الحياة الروحية يجب أن يتم كأحد العلوم، لا بدون خطة، ولا ارتجالاً، ولا بدون ثبات، بل بالعناية والجهاد للتخلص من الأهواء والتعرف على الفضائل. وثانياً، في هذا الصراع لا يمكن للمرء أن يصل إلى الكمال بين لحظة وأخرى، بل يجب عليه أن يرتقي بالفضائل تدريجياً، ويتبعها، ويرغب فيها، ويصلي من أجلها حتى يصل إلى أعلى فضيلة، وهي المحبة. ويقدم لنا القديس يوحنا ثلاثين درجة على سلم الفضائل، الذي يجب أن يصعدده الراهب والمسيحي المجاهد.

إنها رسالة مهمة ليس فقط للرهبان، بل أيضاً للمسيحيين المجاهدين في العالم، ألا ننسى، بانشغالنا بهوموم الحياة، أن الهدف الرئيسي لحياتنا هو كمالنا. إنه اتحادنا مع الله. إنه تطهيرنا من الأهواء. إنه النضال الروحي. ويجب أن يتم ذلك، كما قلت، بثبات وبالجهاد اليومي وبالتوق إلى الله. إن هذه هي المهمة الرئيسية للرهبان ويجب ألا ننساها، خاصة نحن الذين خرجنا إلى البرية. فمن أجل هذا النضال خرجنا. والمسيحيون في العالم، الذين يعانون من الظروف التي هم فيها، والذين بالطبع لا يتمتعون بالراحة التي يتمتع بها الرهبان، ولا الوقت الذي يتمتع به الرهبان، إنما يمكنهم أيضاً تخصيص بعض الوقت في حياتهم للاهتمام بتقدمهم الروحي ونموهم وتنقيتهم من الأهواء والاستنارة بالله. وهناك مسيحيون في العالم اليوم يتممون هذا الجهاد بمعونة الله، ولا يجرفهم ما هو مؤقت وفانٍ فينسوا الأبدى والدائم، بل هم قادرون على الجهاد في العالم من أجل خلاصهم واتحادهم بالله. وسوف يكون لهم أجر عظيم.

لأنه أمرٌ في غاية الصعوبة، في وقت يجهد كل شيء لتقسيم الإنسان، وإخراجه إلى الانفلاش، لا إلى محبة الانكفاء على الذات، بل لأن يكون منهكاً دائماً من التعلق بما هو دنيوي، ثانوي، أرضي، عيبي؛ ومع ذلك، يوجد مسيحيون اليوم، من محبتهم لله، يجاهدون ويتغلبون على هذا الانبساط وهذا الانفلاش والتعلق بالأرضيات الفانية، من أجل خلاصهم، ومن أجل محبة المسيح، ومن أجل اتحادهم بالله.

نحن الرهبان لدينا أيضاً هذا الهدف الوحيد. يجب ألا ننسى "من أين أتينا"، وعلينا أن نخوض هذا النضال كل يوم. لا ندعّن اليوم يمر دون أن نتّم هذا الصراع. إن الجهاد يهدف إلى التطهر من الأهواء، والجهاد لاكتساب الفضائل والاستنارة. لأنه إذا مر علينا يوم من حياتنا لم نمارس فيه هذا الجهاد، يكون

ذلك اليوم قد ضاع. ولهذا السبب نرى في أخبار الآباء (Gerontikon) وفي سير القديسين أن في نفوسهم اهتماماً لا يهدأ لإتمام هذا الجهاد، حتى اللحظة الأخيرة.

وتذكروا الأنبا سيسوي الذي جاء وقت رحيله من هذا العالم وتوسل إلى الله أن يتوب لمدة نصف ساعة أخرى. لقد تاب طوال حياته، لكن ذلك لم يكن كافياً له. فطلب نصف ساعة أخرى للتوبة. وبعد ذلك جاءت جوقة الأنبياء والرسل والمسيح نفسه ليأخذوا روحه المباركة المجاهدة.

لهذا أصلي، ببركة القديس يوحنا السلمي، معلم كنيستنا العظيم، صاحب كتاب السلم الأكثر قراءة والمفضل لدى المسيحيين والرهبان الكاملين. أنت لا تحتاج كتاباً آخر للفصل الأول، ولا كتاباً آخر للصف الأخير من الجامعة الروحية، لأن السلم فيه كل شيء.

إنه أيضاً كتاب الحروف الهجائية للمبتدئين، كما أنه أيضاً كتاب الكمال، لأنه يحتوي على حكمة روحية، تلقاها القديس من تجربته الشخصية وجهاده في الحياة الروحية، ولكن أيضاً من خبرته كشيخ ورئيس دير. من الإخوة الرهبان، الذي صوّرهم في كتابه.

ولهذا قلت إن السلم، الذي نقرأه حتى خلال الصوم الكبير في الأديرة، هذا السلم هو هبة عظيمة ثمينة من الله لكنيستنا، وإذا لم نمتلكها، سنصبح أكثر فقراً. لهذا السبب حرصت العناية الإلهية على وجود مثل هذه المساعدات الإلهية العظيمة، حتى تتمكن من التعلّم والانقياد إلى الخلاص.

ببركة القديس يوحنا السلمي، لنُصلِّ إلى الله، لأن الكسل يجعلنا بليدين بشكل مضاعف فننسى "من أين أتينا"، وننسى السهر والبحث الروحي عن صعودنا على سلم الفضائل، إذ إن كلمة الرب تقول: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة".

هذه هي سمات الراهب والمسيحي الأرثوذكسي. يجب أن تكون اليقظة، لأننا في كل لحظة في خطر الوقوع في غرور أشياء العالم القابلة للفناء ونسيان مصيرنا الأبدي ورسالتنا التي هي راحتنا في حضن الله القدوس.

ببركة القديس يوحنا السلمي، فلنكن أقوياء على مواصلة الجهاد إلى أن نحتفل بعيد الفصح المقدس، لا بل أيضاً بعد الفصح المقدس، بالسهر والصلاة دائماً. آمين.

Source: Αρχ. Γεώργιος Καψάνης. Ο Άγιος Ιωάννης της Κλίμακος και η Δ' Κυριακή των Νηστειών. Κοινωνία Ορθοδοξίας. 29 Μαρτίου 2020. <https://www.koinoniaorthodoxias.org/martiria-kai-didaxi/o-agios-ioannis-tis-klimakos-kai-i-d-kyriaki-twn-nisteiwn/>